السبق الصحفي! استغلال الجندي الأمريكي: سجلات 'العبيد' وتوريط المجتمع

30-12-2003

خدمة العصر (بتصرف)

يموت رجالنا ونساؤنا بلا جدوى, فعندما يتشكل الجيش من مجموعة مواطنين من الأحياء الفقيرة, المحميات المدنية والمجتمعات الريفية, فإن محتكري الدولار لن يهتموا بحياة من أُرسلوا للتضحية والموت من أجل تمكين المتبرعين للرئيس وأصدقائه من تجميع ثروة أكبر.
بقلم Manuel Valenzuela - مانويل فالينزويلا 27 ديسمبر, 2003

قصة الجندي الأمريكي هي أعقد بكثير من مجرد غلاف دعائي لمجلة "تايم", صُمم لبيع أكبر عدد من النسخ, حصدا للمكاسب باستغلال "الوطنية", وصناعة للقبول والتواطؤ في سياق تحريض وقائي. قصة الجندي الأمريكي أعمق بكثير من صورة لثلاثة جنود مجهزين بأدوات المعركة, مستعدين لغزو دولة "مخالفة", وتدمير بنيتها التحتية وقتل مواطنيها.
بالتخفي وراء الوهم الزائف، يصور الإعلام التجاري القتال في الحروب المشحونة على أنه "قتال نبيل", إنه التحايل والكذب لصناعة عالم الموت, المعاناة والتضحية مدى الحياة, عالم الصدمة النفسية.., عالم تُرك فيه المحارب يواجه مصيره من طرف الحكومة نفسها التي أرسلت الملايين للقتل والموت...
أصبح جنودنا "مرتزقة" في خدمة الأقلية الحاكمة, ولا أحد يدافع عن أوهام الحرية أو الديمقراطية في الخارج, وإنما القتل والتدمير لأجل حكم الأقلية, مجموعة صغيرة من صقور "الدجاج" في أوساط الحكومة وعالم المال والأعمال، تثري نفسها من خلال الاستغلال الجماعي لطبقة العمال ومحدودي الدخل من الرجال والنساء... وهكذا تحول الجيش الأمريكي إلى أداة أخرى لتحقيق طموحات حكم الأقلية. في عهد بوش, استُخدم الجندي الأمريكي لإثراء المجمع الصناعي العسكري, "كارتل" النفط والطاقة وتحالف تحكمه الأقلية الثرية الذي تتحكم في التجارة والحكومة.
من الصعب أن نعتقد أننا نؤمن حرياتنا وحقوقنا الخاصة بالغزو وانتزاع الحقوق الأساسية من الشعوب والدول الأخرى التي لم تتورط في أحداث 9 / 11, ينبغي ألا تُضلل بهوس هذه الدعاية المغرضة، إن حقيقة الأمر هي أن أبناءنا وبناتنا يحاربون لتأمين وتوسيع مصالح القلة, لإثراء حساباتهم وزيادة عطشهم الشره للسلطة والسيطرة. إننا نغزو الدول, لنتحول إلى آلة قتال هجومية. إن جنودنا لا يدافعون عن أراضينا, لم نتعرض لغزو, وإن حرياتنا, حقوقنا ومبادئنا الديمقراطية ليست مهددة من قبل عدو أجنبي، ولكنها مهددة إلى حد كبير من طرف حكومتنا.
لقد أصبحنا دعاة حرب, نهلك ونسرق موارد شعوب آخرين... هذه ليست أمريكا الماضي.
وبفضل قلة حاكمة, فإن جنودنا يخوضون المعارك بدون قضية وموقف أخلاقي.
لم يبق لنا إلا أن نأمل في أن لحظات الجنون هذه التي استحوذت على المؤسسة الحاكمة ستنتهي قريبا ويمكن أن نكرس أنفسنا لمحاربة معارك أخرى أهمة بكثير.
لقد أُجبر الجندي الأمريكي في العراق على تحمل التوترات المتواصلة لحرب الفدائيين. وتوقع العشرات من محللي الأمن القومي, ضباط القوات المسلحة, موظفو المخابرات والمستشارون

الرئاسيون اندلاع حرب الشوارع واشتعال المقاومة، وكان على جنودنا أن يواجهوها لتسهيل مهمة الاحتلال. لكن ما لم يكن في الحسبان ولم يُتوقع حدوثه، هو الفشل الذريع في الاستخبارات والقيادة. تدرب عشرات الآلاف من الرجال والنساء على صراع مفتوح ومتوقع في الصحراء، بينما كان القليل فقط جاهزا لحرب العصابات. وحتى تدريبهم على الآلات الحربية أُعتُبر غير مفيد في حرب المدن. والكثير من هؤلاء قد صارع لفهم "عدو" يرى في غزو الجندي الأمريكي, مظاهر الاحتلال, الاستغلال والمهانة، ونتج عن ذلك كله أن أكثر من 455 قد ماتوا وأكثر من 10,000 قد أُجلُوا بسبب الإصابات والأمراض المتفاوتة.

وزُج بهؤلاء الجنود في متاهات السيطرة على المدن بصورة رديئة, في بيئات يجهلوها, وسط ثقافة مخالفة ولغة مغايرة، وتدربوا على الأدوار التقليدية لحرب لا أحد منهم دعا إليها, ولأجل غرض لا يمت بصلة للدفاع عن حريتنا. يتعرضون يوميا للقتل والإصابات والإعاقات, غير قادرين على تمييز الصديق من العدو. ويعني ضمان سلامة الاحتلال، حرب الشوارع، تجريد العراقي من إنسانيته, الموت، الدمار والكراهية المتنامية، الأمر الذي يؤكد فشل سياسة كسب القلوب والعقول. وقد رفض الزعماء في القمة زيادة القوات العسكرية, تحقيقا للأفكار الانهزامية, وحتى لا يوصفون بالحمق والغباء وبالتالي تسوء سمعتهم. فعندما تكون سمعة هؤلاء في خطر, وعندما يرفضون الإقرار بالأخطاء, فإن حياة الجنود تصبح بلا معنى، كأنهم كيانات تافهة وغير نافعة...والواقع أن معظم الجنود لا يعرف لماذا يقاتل ولأي غرض, والهدف المرئي القابل للإدراك هو مطاردة الدم الأسود, السيطرة الأمريكية وتأمين القاعدة الاستراتيجية، وكذا حماية حزب الحرب من أصدقاء بوش, هؤلاء الذين يحصدون البلايين من عملية إعادة الإعمار. وإن تدمير بلد, برغم كل شيء, يعد مغامرة تجارية مربحة جدا, وخاصة بالنسبة لأصدقاء الإدارة. يموت رجالنا ونساؤنا بلا جدوى, فعندما يتشكل الجيش من مجموعة مواطنين من الأحياء الفقيرة, المحميات المدنية والمجتمعات الريفية, وغالبا من عائلات الطبقة العاملة ومحدودة الدخل, فإن محتكري الدولار لن يهتموا بحياة من أُرسلوا للتضحية والموت من أجل تمكين المتبرعين للرئيس وأصدقائه من تجميع ثروة أكبر.

القوات المسلحة للولايات المتحدة اليوم مزيج من الريفي والمدني, الأسود, الأبيض والأسباني, وتشترك في انتمائها للطبقة العاملة ومحدودي الدخل، وانحدارها من أسوأ المناطق التعليمية وأفقرها في البلد. هذا هو الجندي الأمريكي, فهو ليس من أبناء الطبقة فوق المتوسطة أو النخبة أو الأقلية الحاكمة. وعليه، فالقوات المسلحة مكونة من هؤلاء الأقل حظا, أصحاب الفرص المحدودة أو من لا مستقبل لهم!...

ويغذي النظام هؤلاء الأقل حظا, ليعتمد عليهم في حاجاته الاستغلالية. إذ يحتاج نظام الطوائف، "العبيد" ذوو الدخل المنخفض للقيام بالأعمال الضرورية التي تحافظ على دوران المحرك الاقتصادي... وكان عليهم أن ينجوا من هذه المناطق العشوائية, المليئة بالأخطار المحدقة من كل جانب, إما بمواجهة ضغوط الشارع والعصابات أو مناطق المخدرات والأسر السيئة. ومع إدراكه بأن الموارد منعدمة تقريبا, فإن الجندي المستقبلي يبدأ في رؤية -وفي سن مبكر- أن الخروج من هذه المحميات مستحيل عمليا بسبب العقبات العديدة التي وُضعت في حياته, لهذا، فهو يرى في القوات المسلحة البديل الناجح الوحيد.

وما إن يتلقى ضباط التجنيد معلومات شخصية عن الطلبة (طبعا في أسوأ المناطق التعليمية)، حتى يبدأ التحرش بهم, غالبا بالمكالمات الهاتفية والاجتماعات المُكرهة في المدرسة، وقد يبحث ضباط التجنيد عن النعرات المحتملة في البيوت لاستغلالها. ويشرع المستشارون في التوظيف أيضا, دافعين الطالب نحو الانضمام إلى القوات المسلحة. مثل هذه التكتيكات الثقيلة تُعَاد مرارا وتكرارا, سنة بعد سنة, حتى يكتمل النصاب. ويظل الشباب من الرجال والنساء, حتى الآن أبرياء وفريسة سهلة للاستغلال, ويُدفع للانضمام إلى القوات المسلحة ليصبح آلة القتل

المستقبلية...إن علل النظام وأزماته تجعل من الانضمام إلى العسكر الخيار الوحيد لعيش حياة أفضل..وتستهدف حملة التجنيد العدوانية الإسبان بشكل مركز، والهدف المعلن من قبل القوات المسلحة هو زيادة التمثيل القليل لذوي الأصول الأسبانية من 10 في المئة (حاليا) إلى 22 في المئة في السنوات القليلة القادمة.

وقد استُهدفت هذه المجموعة المتنامية ذات الدخل المنخفض جدا بشكل مطرد, مع تعليم محدود وفرص أقل في الشغل, باعتبارها الموجة القادمة للأقليات البائسة التي سيُتعامل معها كوقود للمعارك في الحروب المستقبلية. وبإرسالهم إلى الجبهات, فإن الأسبان سيحاربون ويموتون, وهذا ما يريده النظام لإبقاء هذه الأقلية على هامش المجتمع.
الظروف نفسها تنطبق على سكان الريف, أين توجد مزارع الرتابة, الحرمان ونقص الفرص في العمل والتعليم الجامعي، وللأسباب نفسها، فإن جزءا كبيرا من القوات المسلحة يضم الرجال والنساء الريفيين البيض الذين يبحثون عن حياة أفضل. ومن الخطأ الاعتقاد أن الاختيار تطوعي، وكيف يكون كذلك، والنظام هو الذي صنع ظروف الهروب من الواقع البئيس للاستنجاد بالتجنيد، وأكثر من ذلك لم يفعل شيئا لتحسين الأوضاع المعيشية للملايين!.